المقتطف

الجزء الثالث من المجلد الرابع والستين

١ مارس (آذار) سنة ١٩٢٤ — الموافق ٢٥ رجب سنة ١٣٤٢

وزارة الامة ورئيسها

تدلُّ الدلائل المبنيَّة على ما كُشف من آثار القدماء حتى الآن ان مصر والشام والعراق سبقت البلدان كلها الى تنظيم ادارتها وبلغت مقومات العمران فيها منذ اربعة آلاف سنة مبلغاً يفوق من وجوهٍ كثيرة ما بلغتهُ الآن

الاَّ انهُ يستدلُّ من الآثار المصرية القديمة وممَّا وصل الينا من التواريخ عن تلك العصور ان الشأن كلهُ كان للملوك والكهنة والعظماء وان الشعب كان مسخَّراً لخدمتهم حتى بلغ من امرهم ان اعتقد الالوهية في ملوكهِ وعبدهم عبادة

ولا يخلو سير العمران من مدٍّ وجزر ولذلك كان الشعب يثور احياناً على ملوكهِ ولا سيما اذا كانوا اجانب ظلموهُ او استخفوا بمعبوداتهِ ووجدوا لهُ زعيماً يتولى زعامتهُ كما حدث لما خُلع نير الرعاة والفرس والروم لكنهُ كان في كل ثوراتهِ يتوخَّى نقل السلطة من شخص الى آخر او من جماعة الى اخرى ولم يقصد ان تكون السلطة لهُ يقلدها من ينتخبهم من رجالهِ نواباً عنهُ لتبقى في يدهم الى اجل وتكون في يدهِ اعادتها اليهم او نقلها الى غيرهم كما حدث الآن

الحركة الحاضرة غير حديثة . زرنا القطر المصري منذ خمس واربعين سنة في وزارة رياض باشا الاولى واتيح لنا ان نتشرف بمقابلة الجناب الخديوي وحادثنا كل وزرائهِ وجماعة من الذين صار لهم شأن كبير في الثورة العرابية . فرأينا النار محمودة تحت الرماد وأكَّد لنا رجل اجنبي كان لهُ منصب رفيع في الحكومة المصرية ان البلاد قائمة على بركان ولا بدَّ من ان تثور قريباً لكثرة ما يعاني الوطنيون من اجحاف الاجانب

ثم نشبت الثورة وجاء الاحتلال وعلمنا من لورد كرومر مراراً ان الاحتلال لا يطول وان المحتلين على سفر وانهُ انما يرمي الى ترقية البلاد واصلاح شؤونها الادارية ثم تركها لاهلها وقد صاروا اصدقاء بريطانيا . وجرى على هذه الخطة في سنيهِ الاولى لكن الدسائس الاجنبيَّة وانخداع الكثيرين بها حملهُ على تغيير خطتهِ فاكثر من ابناء قومهِ في مصالح الحكومة حتى يبقى لا اكثر اثر شيء من السيطرة عليها الى ان تتمكن من تولي شؤونها بنفسها وتصير اقوى من ان تؤثر فيها الدسائس الاجنبيَّة . وكان يتوخى اكتشاف الرجال الذين يثق بمقدرتهم لكي يديروا دفة البلاد ويوثّقوا عُرى المودة بينها وبين بريطانيا العظمى معتقداً ان مصلحة مصر ومصلحة بريطانيا متفقتان لا تنازع بينهما . ومن الذين اكتشفهم ووثق بمقدرتهم واخلاصهم لوطنهم سعد باشا زغلول وحسبنا دليلاً على ذلك ما صرّح بهِ جهاراً في خطبتهِ الوداعية التي القاها في الاوبرا قال : —

« واذكر اخيراً ايها السادة اسم رجل لم اشتغل معهُ الاَّ من عهد قريب لكن معاشرتي القصيرة لهُ قد علمتني ان احترمهُ احتراماً عظيماً وان اصاب ظني او لم يخطىء كثيراً فسيكون امام ناظر المعارف الجديد سعد باشا زغلول مستقبل عظيم المنفعة العمومية (تصفيق حاد طويل) لانهُ حائز لجميع الصفات اللازمة لخدمة بلادهِ فهو صادق مستقيم كفوء مقتدر شجاع في ما هو مقتنع بهِ وقد احتمل الطعن والذم من كثيرين دونهُ فضلاً بمراحل من ابناء وطنهِ . فهذه صفات سامية والواجب ان صاحبها يتقدم كثيراً (تصفيق كثير) »

وقد عرفنا نحن سعد باشا قبل ذلك وهو محام والالسن تلهج بقوة عارضتهِ في الخطابة وبلاغة حجتهِ في الدفاع عن حقوق موكليهِ وكنا نعجب ببلاغة ما يخطُّهُ قلمهُ ونرى فيهِ ادلة الحزم الشديد مع جلاء الفكر كأنَّ الحقائق متى اتضحت لهُ ترتسم في ذهنهِ بصور جلية لا يخامرها ريب ولا يكتنفها شك فيجزم بها جزماً ولعلَّ هذا الخلق خلق الحزم وعدم التردُّد الشأن الاكبر في نجاح العمل العظيم الذي توخاهُ

لما كانت المسألة المصرية لا تزال في ادوارها الاولى قال لنا وكرر القول ستستقل ستستقل وترفع الحماية حتماً . ثم لقيناهُ في لندن في صيف سنة ١٩٢٠ لما كان مرسلاً في رآسة الوفد المصري فكرر لنا هذا القول . ولقيناهُ بعد ذلك في باريس وكان

اللورد ملنر قد نشر خلاصة تقريره وأتى جماعة من اعضاء الوفد الى مصر ليعلموا رأي زعماء الامة فيها فهنأناهُ هو وسائر رجال الوفد الذين معهُ بالمرحلة الكبرى التي قطعوها في سبيل الاستقلال التام . فاطلعنا على التحفظات التي اشار بها زعماء الامة وقال لنا انهُ واثق ان انكلترا لا تضن بقبولها

ولا يسع المقتطف تفصيل ما وقع بين اعضاء الوفد من الاختلاف بعد ذلك ولا ما اصاب سعد وصحبهُ من الرؤساء سجناً ونفياً كأنَّ الاقدار قدرت ان يحلَّ بهم ذلك لكي يزيد التفاف الامة حولهم واجتماعها كلمة واحدة للمطالبة بالاستقلال التام على يدهم فان تفصيل ذلك علأ المجلدات وقد قامت به الصحف اليومية في حينهِ

ومما يذكر بالاعجاب ولا يسع احداً انكارهُ ان سعد باشا امتلك القلوب ببلاغتهِ في اظهار حقوق الامة ودفاعهِ عنها

مررنا بشربين منذ سنتين فلقينا رجلاً من نبغاء المصريين ومعهُ ابنهُ وهو في التاسعة او العاشرة من عمرهِ فقلنا لهُ على سبيل المداعبة اسعدي انت فوقف ورفع رأسهُ كأنهُ شاب مستعزٌّ بقوتهِ وقال باعلى صوتهِ نعم انا سعدي وكل اولاد مدرستنا سعديون ولا رئيس الا سعد . ثم اخبرنا ابوهُ ان اخوات هذا الفتى يمنفنهُ احياناً ويقلن لهُ انهنَّ لسنَ من حزب سعد فيغتاظ منهنَّ ويخاصمهن ويبكي . والقينا هذا السؤال على جماعة كبيرة من الفلاحين فقالوا كلهم انهم سعديون ثم ثبت في الانتخاب لمجلس النواب ان اكثر من تسعة اعشار النواب هم من حزب الوفد المصري الذي رئيسهُ سعد باشا زغلول فاستعفت وزارة يحيى باشا ابرهيم واستدعى جلالة الملك سعد باشا ووكل اليهِ تأليف وزارة جديدة . وهذا نص الوثائق التي صدرت في هذا الشان

امر ملكي رقم ١٤ لسنة ١٩٢٤

صادر الى صاحب الدولة سعد زغلول باشا

عزيزي سعد زغلول باشا

لما كانت امالنا وغائبنا متجهة دائماً نحو سعادة شعبنا العزيز ورفاهتهِ وبما ان بلادنا تستقبل الآن عهداً جديداً من الحياة النيابية ان تبلغ فيهِ ما نرجوهُ لها من رفعة الشأن وسمو المكانة ولما انتم عليهِ من الصدق والولاء وما تحققناهُ فيكم من عظيم الخبرة والحكمة وسداد الرأي في تصريف الامور وبما لنا فيكم من الثقة التامة قد اقتضت ارادتنا توجيه مسند رآسة مجلس وزرائنا مع رتبة الرآسة الجليلة لعهدتكم

وأصدرنا امرنا هذا لدولتكم للأخذ في تأليف الوزارة وعرض مشروع هذا التأليف علينا لصدور مرسومنا العالي به

ونسأل الله جلت قدرته ان يجعل التوفيق رائدنا فيما يعود على بلادنا بالخير والسعادة انهُ سميع مجيب

صدر بسراي عابدين في ٢٢ جمادى الثانية سنة ١٣٤٢ (فؤاد)

خطاب صاحب الدولة سعد زغلول باشا

مولاي صاحب الجلالة

ان الرعاية السامية التي قابلت بها جلالتكم ثقة الامة ونوابها بشخصي الضعيف توجب عليَّ وانبلاد داخلة في نظام نيابي يقضي باحترام ارادتها وارتكاز حكومتها على ثقة وكلائها الا اتنحى عن مسؤولية الحكم التي طالما تهيبتها لظروف اخرى وان اشكل الوزارة التي شاءت جلالتكم تكليفي بتشكيلها من غير ان يعتبر قبولي لتحمل اعبائها اعترافاً باية حالة أو حق إستنكرهُ الوفد المصري الذي لا أزال متشرفاً برآسته

ان الانتخابات لاعضاء مجلس النواب اظهرت بكل جلاء اجماع الامة على تمسكها بمبادىء الوفد التي ترمي الى ضرورة تمتع البلاد بحقها الطبيعي في الاستقلال الحقيقي لمصر والسودان مع احترام المصالح الاجنبية التي لا تتعارض مع هذا الاستقلال كما اظهرت شدة ميلها للعفو عن المحكوم عليهم سياسيًّا ونفورها من كثير من التعهدات والقوانين التي صدرت بعد ايقاف الجمعية التشريعية ونقصت من حقوق البلاد وحددت من حرية افرادها وشكواها من سوء التصرفات المالية والادارية ومن عدم الاهتمام بتعميم التعليم وحفظ الامن وتحسين الاحوال الصحية والاقتصادية وغير ذلك من وسائل التقدم والعمران فكان حقًّا على الوزارة التي هي وليدة تلك الانتخابات وعهداً مسؤولاً منها ان توجه عنايتها الى هذه المسائل الاهم فالمهم منها وتحصر أكبر همها في البحث عن احكم الطرق واقربها الى تحقيق رغبات الامة فيها وازالة اسباب الشكوى منها وتلافي ما هناك من الاضرار مع تحديد المسؤوليات عنها وتعيين المسئولين فيها. وكل ذلك لا يتم على الوجه المرغوب فيه الا بمساعدة البرلمان. ولهذا يكون من اول واجبات هذه الوزارة الاهتمام باعداد ما يلزم لانعقاده في القريب العاجل وتحضير ما يحتاج الامر اليه من المواد والمعلومات لتمكينه من القيام بمهمة خطيرة الشأن

ولقد لبثت الامة زماناً طويلاً وهي تنظر الى الحكومة نظر الطير الى الصائد لا الجيش الى القائد وترى فيها خصماً قديراً يدبر الكيد لها لا وكيلاً اميناً يسعى لخيرها وتولد عن هذا الشعور سوء تفاهم اثر تأثيراً سيئاً في ادارة البلاد واعاق كثيراً من تقدمها فكان على الوزارة الجديدة ان تعمل على استبدال سوء هذا الظن بحسن الثقة في الحكومة وعلى اقناع الكافة بانها ليست الا قسماً من الامة تخصص لقيادتها والدفاع عنها وتدبير شؤونها بحسب ما يقتضيه صالحها العام ولذلك يلزمها ان تعمل ما في وسعها لتقليل اسباب النزاع بين الافراد وبين العائلات واحلال الوئام محل الخصام بين جميع السكان على اختلاف اجناسهم واديانهم كما يلزمها ان تبث الروح الدستورية في جميع المصالح وتعوّد الكل على احترام الدستور والخضوع لاحكامه وذلك انما يكون بالقدوة الحسنة وعدم السماح لاي كان بالاستخفاف بها والاخلال بما تقتضيه

هذا هو برنامج وزارتي وضعته طبقاً لما اراه وتريده الامة شاعراً كل الشعور بان القيام بتنفيذه ليس من الهنات الهينات خصوصاً مع ضعف قوتي واعتلال صحتي ودخول البلاد تحت نظام حرمت منه زمناً طويلاً . ولكني اعتمد في نجاحه على عناية الله وعطف جلالتكم وتأييد البرلمان ومعاونة الموظفين وجميع اهل البلاد ونزلائها

فارجو اذا صادف استحسان جلالتكم ان يصدر المرسوم السامي بتشكيل الوزارة على الوجه الآتي مع تقليدي وزارة الداخلية

محمد سعيد باشا	لوزارة المعارف
محمد توفيق نسيم باشا	لوزارة المالية
احمد مظلوم باشا	لوزارة الاوقاف
حسن حسيب باشا	لوزارتي الحربية والبحرية
محمد فتح الله بركات بك	لوزارة الزراعة
مرقس حنا بك	لوزارة الاشغال العمومية
مصطفى النحاس بك	لوزارة المواصلات
واصف بطرس غالي افندي	لوزارة الخارجية
محمد نجيب الغرابلي افندي	لوزارة الحقانية

وادعو الله ان يطيل في ايامكم ويمد في ظلالكم حتى تنال البلاد في عهدكم كل ما تتمناهُ من التقدم والارتقاء

وانى على الدوام شاكر نعمتكم وخادم سدتكم سعد زغلول

تحريراً في ٢٢ جمادى الثانية سنة ١٣٤٢ — ٢٨ يناير سنة ١٩٢٤

وقد صدر المرسوم الملكي بذلك في ذلك اليوم عينه

هذا وقد كان صاحبا الدولة محمد سعيد باشا ومحمد توفيق نسيم باشا رئيسي وزارتين وصاحبا المعالي احمد مظلوم باشا وحسن حسيب باشا من اعضاء وزارتين سابقتين وصاحب المعالي محمد فتح الله بركات باشا مشهور باصالة الرأي وهو من كبار المزارعين واعضاء الجمعية التشريعية واصحاب المعالي مرقص حنا بك ومصطفى النحاس بك وواصف بطرس غالي افندي ومحمد الفرابلي افندي من كبار المحامين ولبعضهم كتب وخطب مشهورة

ومن الذين احسنت الوزارة جداً في اختيارهم عاطف بك بركات لوكالة المعارف وصادق بك حنين لوكالة المالية فان كلاً منهما ثقة في المنصب الذي اختير لهُ

وتدل الدلائل كلها على ان هذه الوزارة ستتم استقلال البلاد وتسير بها مرحلة كبيرة في سبيل الارتقاء

مدفن توت عنخ آمن

والتابوت العجيب

تفنن الاقدمون في حفظ موتاهم من البلى وفي وضعهم في مكان حريز حتى لا يعبث بهم احد فحفروا لهم القبور في الصخور ووضعوهم في نواويس كبيرة من الخزف او المرمر وابدعوا في التعمية على من يقصد نبشها فاوهموهُ انهم اخفوها في مكان يصعب الوصول اليهِ ثم وضعوها في مكان آخر لا يخطر لهُ انها فيهِ لانهم اعتقدوا ان الجسد يبقى مقرًّا للنفس بعد الموت فتعود اليهِ مرة بعد اخرى كما تعود نفس النائم الى جسمهِ بعد ان تفارقهُ على ظنهم. وكل ما كُشف في هذا القطر وغيره من الوسائل لحفظ جسد الميت لا يقابل بالاسلوب الذي ابتدعهُ توت عنخ آمن او خلفاؤهُ لحفظ جسدهِ اذا ثبت ان جسدهُ حُفظ فيهِ ولم يكن هذا الاسلوب لمجرد التعمية. فقد اطلع قراء المقتطف والصحف اليومية على وصف القبر الذي انشئ لهذا الملك